طريقة المشروع فى الرياض المصرية

بقلم السيدة زكية عزيز
مدرسة بمعهد التربية للمعلمات

طريقة المشروع هى أحد المظاهر العملية التى تعبر عن التيارات الجديدة فى التربية الحديثة ، وهى إذ تعد الطفل نقطة البدء ، والمحور ، بل والغاية فى التربية ، تتطلب من المدرسة الإلمام بالدوافع النفسية للطفل ، وخاصة تلك العوامل التى تؤثر فى عملية التعلم عنده . وقد قطعت طريقة المشروع مرحلة الاختبار فى أمريكا وانجلترا وغيرها من البلاد ، وانتهى الرأى الآن إلى أنها خير أداة لتعليم الطفل وتنشئته خلال السنوات الأولى من حياته التعليمية .

ولا يزال رجال التربية على خلاف فى الاسم الذى يطلقونه على هذه الطريقة ، فبينما نجد J. Dewey يطلق عليها « نشاط أو عمل » Occupations مع حرصه على تفسير المعنى المقصود من Occupations بأنه النشاط الذي يستغرق الطفل فيه اللذة المستمدة منه ، لا ليلتمس منه الوسيلة إلى غاية أخرى ، نرى دكرولى O. Decroly يطلق عليها « مركز التشوق » Centre of interest . أما كلمة المشروع Project فقد وضعها كلباترك W.Kilpatrik ، وهى الآن أكثر المصطلاحات الثلاثة شيوعا .

والقصد من المشروع استغلال يقظة الطفل المتفتحة إلى المعرفة فى إيجاد هدف يتركز حوله تفكيره ، أو موضوع ينال من اهتمام الطفل بحيث يصبح ينبوعا لنواحى نشاطه عموما . والخبرة الشخصية المباشرة هى اللون الغالب أثناء استخدام الطريقة ، إذ أنها تجعل من أهم مقتضياتها أن يواجه الطفل مشكلات ومواقف ، يقبل عليها راغباً ، ليعالجها عملياً بقدر ما تسمح له قدراته ومهاراته . وخلال هذا الضرب من النشاط الذى يستغرق الطفل فيه بكليته يختبر ، لا شعوريا ، عمليات عقلية مستمرة

ومتصلة ، بما يصحبها من انفعالات ملائمة ، مما يؤدى بالطفل الى اطراد التكيف فى سلوكه ويساعده فى عمليات النمو العقلى والترقى العام فى الشخصية . ومن الميسور أن نلمس أثر هذا الترقى الشامل فى سلوك الطفل ، فمن أبسط دلائله : اهتمامه بمواعيد المدرسة وطلباتها والإقبال عليها راضياً لا مدفوعاً بعامل الشدة أو التأنيب ، وربط ما يسمعه أو ما يقع عليه بصره ، سواء فى الشارع أو فى البيت ، بالمواقف التى اختبرها فى المدرسة. هذا فضلاعن روح المشاركة أو المعاونة الإيجابية التى تختلط بسلوكه عموماً .

أما الأغراض التى تهدف إليها طريقة المشروع فأهمها أن تتخذ من الحياة وسيلة لإعداد الطفل للحياة ، وذلك بأن تجعل من الفترة الأولى للتعليم مجالا يختبر فيه الطفل الحياة ، على صورة مصغرة ، داخل جدران المدرسة ، مما يعينه على ألا يتقدم بسنه الزمنى وحسب، بل يقطع مراحل متعادلة فى كل من جانبى الترقى الانفعالى والعقلى أيضاً . وهذا الاتجاه الذى يهدف إلى العناية بصحة العقل ، كما يعنى بصحة الجسم ، إنما يمثل النزعة الحديثة إلى تهيئة الفرد للتمتع بالحياة ، تلك النزعة التى تمتد فى أصولها إلى ما يجرى فى محيط علم نفس الطفل من تجارب وبحوث .

والسبيل الصحيح لتطبيق طريقة المشروع هو تنمية فكرة قد تجىء عرضاً أو لمناسبة ما ، والتوسع فيها والتعبير عنها بوسائل مختلفة تبعا لما يكون موضعاً لاهتمام الأطفال وقتئذ . وليس مما يصح فى طريقة المشروع إطلاقا أن تقتصر المدرسة على عرض لوحة لتكون نموذجا للمشروع ، وإن كان من الجائز أن تستعين باللوحات للتعبير عن جانب من جوانب المشروع ، أو طرف من أطرافه . ولنذكر مثالا لذلك مشروع قصة الملح (الرسم ١). ومن أمثلة المشروعات الناجحة دون الاستعانة باللوحات مشروع طعام الإفطار الذى كان الإنتاج فيه يستهلك أولا فأول ، متيحاً للأطفال والمدرسة مجالا خصباً لممارسة آداب المائدة ممارسة عملية ، وملقنا إياهم دروساً ثمينة فى ضرورة العناية بنظافة المأكولات و . . . . الخ ، وإن كان لا يعنى بالاحتفاظ بالآثار المادية التى يتركز حولها اهتمام بعض الزيارات التفتيشية .

وتستخدم طريقة المشروع على هذه الصورة فى الرياض المصرية . غير أنها

تستخدم فى نطاق ضيق جداً بالنسبة لمجموع الرياض وذلك لعوامل كثيرة أهمها أن استخدام الطريقة يتطلب أمرين :

أولهما إلمام علمى عملى ، من جانب المدرِّسة ، بأن الإعداد التربوى التعليمى للطفل فى السنوات الأولى من حياته يتميز بأنه عمل وتفكير فى آن واحد ، وهو فى ذلك يستند إلى الحقائق المعروفة عن سيكولوجية الطفل فى تلك السن . وكلما تقدمنا به فى مراحل التعليم زاد فيها الجانب المنطقى ، ومن ثم ينبغى أن يكون الإعداد المزدوج للطفل بوصفه شخصية مستقلة ، وكذا بوصفه فرداً يستطيع التعاون والانسجام مع البيئة التى يقيم فيها ، فى المرتبة الأولى من الأهمية ، بدلا مما يرى حتى الآن من الإسراف فى الحرص على تلقينه ماجاء بالمقررات . فإن هذا القلب للأوضاع يجعل المقرر هو الهدف والغاية ، وبدلا من أن يوضع المقرر لخدمة الطفل كما يقضى بذلك كل نظام تربوى سليم ، أصبح الطفل هو الوسيلة لخدمة المقرر .

وثانيهما ضرورة إلمام المدرِّسة بقوانين التعلم ، أى كيف يتعلم الطفل — وعملية التعلم هذه تتلخص فى ثلاثة قوانين ، مرتبط بعضها ببعض ، الأول منها يحتم على المتعلم مواجهة مشكلات ، ينبغى له الفصل فيها عن طريق التجربة والمحاولة الشخصية . والثانى يرمى إلى أن تكون للتجربة صلة مباشرة بحياة الفرد ، حتى يستمد منها الرضى واللذة . والثالث يستغل لذة المتعلم فى إثارة رغبته إلى متابعة نوع معين من العمل ؛ ويقاس مدى نجاح عملية التعلم بمدى رغبة المتعلم فى المتابعة والاستمرار .

وإن التدريس على نهج طريقة المشروع وفى نطاق الأسس السيكولوجية السالفة الذكر ، ليتطلب من المدرِّسة ، إلى جانب عملها المعتاد ، الاندماج فى حياة الأطفال ، مع اليقظة الذهنية وحضور البديهة : غير أنه من الضرورى أن تتمتع فى نفس الوقت بحرية العمل وبثقة من تعمل معهم ، دون أن يقاس مدى نجاحها فى تأدية رسالتها بالمقاييس المألوفة التى تجعل قصارى غايتها مقارنة معلومات الطفل بمنهج ثابت ، موضوع لجميع الرياض فى جميع المناطق ، وإنما يقاس نجاحها بمدى ما يصل إليه الأطفال من استقلال فى التفكير ، وقدرة على الاستمرار على العمل بمفردهم . فإذا توفرت هذه العوامل

استطاعت المدرّسة اختيار المشروع والاتفاق عليه مع الأطفال ، حتى يشعروا بأن المشروع مشروعهم ؛ ومن ثم فإن الاختيار ، فى أغلب الأحايين ، يكون لمناسبة أثارت اهتمام الأطفال وشغلت تفكيرهم ؛ ومن الأمثلة على ذلك مشروع مهرجان الشعلة ١٩٤٥ ، فإن الابتهاج بعيد ميلاد جلالة الملك ، وما امتازت به هذه المناسبة من جمال وتنوع فى مظاهر الاحتفاء ، كان موضع الاهتمام الشديد عند الأطفال (الرسم ٢ ، ٣) .

أو قد يكون اختيار المشروع لمناسبة حادث غير مألوف فى الحياة اليومية للروضة ، ومن ذلك أن تأخير موعد تناول اللبن ، لأسباب طارئة ، كان مثار حديث شائق عرض فيه الأطفال والمدرّسة للأوانى التى تستعمل فى تناول السوائل وأنواعها ، من حيث أشكالها المختلفة ، والمواد التى تصنع منها ، وقد تركز هذا الحديث حتى انتهى إلى مشروع الفخار (الرسم ٤ ، ٥) .

هذا وكثيراً ما يكون حديث الصباح الحافز على تكوين مركز التشوق ، فمشروع مصدر مياه الشرب فى مصر كان الإجابة العملية لاستفهام طفلة أثناء حديث كان محوره سقوط الأمطار بغزارة خلال الأسبوع الفائت ، فقامت تلقى هذا السؤال : « من أين نشرب فى الصيف إذا كانت الأمطار تسقط عندنا فى الشتاء فقط ؟» ، فأخذت المدرّسة توجه الإجابة بأسلوب عملى أدى بالأطفال إلى الرغبة فى المزيد (الرسم ٦ ، ٧) .

وفترة الأخبار أيضاً لا تقل فى أثرها المفيد ، إن لم تزد ، عن حديث الصباح من حيث التوجيه الموفق نحو اختيار مركز التشوق أو المشروع . ومشروع الصابون ١٩٤٥ تبلور من الانتقال بالحديث عن أسماء الوزارات واختصاص كل منها ، فعندما عرج الحديث على معروضات وزارة التجارة والصناعة ، أعلن طفل فى عظمة وافتخار ، أن والده يقوم شخصياً ، فى البيت ، بعمل الصابون للاستهلاك اليومى فكانت هذه العبارة نواة لتحقيق الفكرة داخل جدران الروضة (الرسم ٨ ، ٩ ، ١٠) .

ويرجع مشروع أنواع الطلاء إلى المجهود الذى بذلته المدرسة لإثارة اهتمام الأطفال بالألوان ، وتذوق ناحية الجمال فيها بعد ما لمست فى بدء العام الدراسى من جهلهم بأسمائها وعجزهم الملحوظ عن تذوق جمالها ، وكان من أثر ذلك أن زاد اهتمام الأطفال بالألوان جميعها وحيثما وجدت (الرسم ١١ ، ١٢) .

ومن العوامل الحاسمة فى نجاح الطريقة ، اقتناع المدرسة بالفكرة وتحمسها فى تنفيذها ؛ وهى إذا اتفقت والأطفال على مركز التشوق ، وجدت نفسها مضطرة إلى تزويد ثقافتها فى هذا الباب ، استعداداً للاجابة على الأسئلة المفاجئة للأطفال ، ثم لتنقل إليهم ، بعد التبسيط ، ما تراه ملائماً من المعلومات . والقائمة التالية من المراجع ، وهى خاصة بمشروع مهرجان الشعلة ، تعطى فكرة عن المراجع التى لزمت لتغذية هذا المشروع :

١ — الجرائد والمجلات التى ظهرت يوم ١١ فبراير سنة ١٩٤٥ .

٢ — التاريخ القديم ، ترجمة الدكتور حسن كمال .

٣ — قصص القدماء المصورة ، تأليف ابراهيم سيف الدين .

٤ — المطالعة التاريخية ، تأليف ز . على ، م . م . زيادة ، أ . ن . هاشم .

٥ — معجم البلدان ، تأليف ياقوت الحموى للبحث عن تاريخ تسمية البلاد المهمة التى مر بها المهرجان .

٦ — دائرة المعارف لمحمد فريد وجدى للاطلاع على تاريخ اليونان وعلاقتهم بالألعاب الأولمبية .

٧ — معلومات عن المنارة قديماً وحديثاً من أستاذ فى التاريخ .

٨ — الاتصال بمحطة القاهرة للسكة الحديدية لتبين المسافات بين البلاد المهمة التى مرّ بها المهرجان .

وبعد الاتفاق على المشروع تتفرغ المدرسة لوضع الخطة اللازمة للعمل فيما بعد ، وهذه الخطة تشمل عادة المواد الدراسية التى لها مجال فى المشروع ونصيب كل منها خلال الأسبوع . ومن ميزات طريقة المشروع أن تصل المواد الدراسية بعضها

ببعض ، لتجعل منها شبكة معارف ينظر إليها الطفل كضرورة أو وسيلة لها مكانتها فى العمل على تحقيق رغباته بالنسبة للمشروع ؛ وهكذا يمضى مجهود المدرِّسة من إعداد ذهنى إلى آخر مادى ، و ينعكس أثر هذا فى نشاط الأطفال ، فيما يرى من وضوح تفكيرهم وانتظامه أثناء العمل .

فالإعداد الذهنى يقتضى من المدرِّسة ، قبل مواجهة الأطفال ، التفكير الدقيق فى كل خطوة من الخطوات التى يتكوّن منها العمل أو النشاط . أما الإعداد المادى ، فإن الأطفال يستطيعون ، إلى حد كبير، القيام به فمثلا اعمل الصابون، الخاص بمشروع الصابون، أحضر بعض الأطفال مقادير صغيرة من الزيت ، وجاءت طفلة بمقدار من الدقيق ، وساهم الآخرون بالجرائد القديمة . وفى اشتراكهم هذا أثر جميل محمود ، لأنه يكوّن مجالا عملياً لمرانهم على الشعور بالمسئولية والتفكير التعاونى ؛ وإن إشراف المدرِّسة إشرافا فعلياً على هذا الجانب من العمل يخدم الأطفال والمدرِّسة و يساعد على نمو المشروع .

ولكي يستمر العمل فى طريقه الطبيعى ، لمسنا من الخبرة الشخصية المباشرة ، أن الوقت المقرر للفترة ، وهو ٣٠ دقيقة ، لا يكفى فى أغلب الأحيان لإنجاز شىء مما نود. فلجأنا فى علاج هذا إلى تجاهل « الجرس » المنذر بانتهاء الفترة ، وظللنا فى العمل مستغرقين بدل الفترة فترتين أو أكثر . وقد تبين لنا أيضاً أن تسمية بعض أنواع النشاط « معلومات عامة » كان أكثر دقة وتوفيقاً ، ومما ينطوى تحت « المعلومات العامة » الدروس التى تعتمد بكليتها على التجارب ، كما رأينا فى مشروعى الصابون والملح .

وهناك مواد كانت لا تجد لها مكانا منسجما فى الخطة فكانت تدرس للأطفال على حدة ، إذ ليس من الجائز إهمالها لحاجة الطفل إليها فى السنوات الأولى من نشأته مثل دروس الألعاب والموسيقى .

أما مادة التهذيب فلم يكن لها مكان فى معظم الخطط ، ولم نحاول تعويضها على حدة ، كما فعلنا فى دروس الألعاب والموسيقى ، اعتقادا منا بأن التربية الخلقية

بمعناها الصحيح ليست مما يلقى على الأطفال فى دروس أو مواعظ منفصلة . وإنما كنا نعمل على أن تلمس بين طيات العمل والنشاط حيث ينفسح المجال أمام الأطفال لممارسة السلوك الاجتماعى المرغوب فيه ممارسة عملية .

ولسنا نجد للدرجات ووسائل التشجيع التقليدية ، مثل النجوم الفضية وجداول الشرف ، أى مكان فى طريقة المشروع ، لأن الأطفال يجدون فى لذة العمل ونمو المشروع ما يزيدهم حماسا وإقبالا عليه ، ومن ثم يكون إقبالهم على العمل من أجل تحقيق فكرة ، لا للحصول على نجمة .

هذا والخطط التى تكررت الإشارة إليها ، مرنة فى طبيعتها تتحمل التغيير والتأجيل تبعاً لما تلقى المدرِّسة من ملاحظات الأطفال وأسئلتهم ، أو ما تلاحظ من أخطاء لغوية شائعة أو ما شابه ذلك مما يضطر المدرِّسة إلى التوقف قليلا حتى تملأ الفراغ وتسد النقص وتصحح الخطأ .

إن طريقة المشروع تمثل التيارات التربوية الحديثة التى تستند إلى فهم صحيح لسيكولوجية الطفل وقوانين التعلم ، وهى فيما نعرف حتى الآن خير الوسائل لإعداد الطفل عن طريق الحياة .

Summary

ZAKIA AZIZ : The Project Method in the Kindergartens of Egypt.

The Project Method is one of the practical expressions of the new trends in modern education. The child is its aim. Its ideal is the preparation for the growth of an integrated personality. The means are life itself and the teacher whose experience is based on child psychology, with special emphasis on the laws and the process of learning.

A project is a centre of interest that stimulates the child's desire to know. It becomes an incentive to a wholehearted activity. The child who is absorbed in such occupation experiences, though unconsciously, various and continuous mental

operations accompanied by emotions, resulting in an increase in the mental structure and the growth of the personality. The application of the method in our kindergartens is limited for more than one difficulty. The teacher, in addition to that which is previously required of her, should be entitled to freedom of work and confidence from the authorities. Then the choice of the project could be done by the children with the teachers's guiding help, to allow for the pleasure of feeling that the project is their own. The choice is always the after effect of an excursion, public holiday, morning talk, a practical answer to a casual question from a child, . . . etc. The choice is followed by the teacher's plan for work and the collecting of material and information. The children's willing cooperation to collect material and work in groups allow for practicing social rights and obligations.

The following conclusions are drawn from our direct personal experience, during the application of the method:

1. Signals of the school bell are ignored and children carry on with their occupations.

2. The use of formal means of encouraging, e.g. marks and stars, is absent. The children enjoy the work for its own sake.

3. The important subjects e.g. music and games are taken separately if they find no place in the plan for work.

4. The plan is essentially elastic to meet the demands of the unexpected questions and remarks that children are bound to make.

5. The period "ethics" on the traditional time-table is neglected, for children practice the desired behaviour right through the hours of work.